الفصل السادس : صور الكفر

إنكار وجود الله إن البحث فى الصنعة هو الذى يدفعنا إلى اثبات وتأكيد وجود الصانع ،فآثار يد الصانع هى الدليل على وجوده ،وصناعته للمصنوع ، فالبحث فى وجود الله لا يكون إلا بالبحث فى قضية الخلق فهى الطريق الوحيد لنا للإستدلال على وجوده وقضية الخلق محسومة لله سبحانه وتعالى ، فلم يدع أحد انه خلق السماوات والأرض غيره ، فهى محسومه له إلى أن يدعيها أحد ويأتينا ببرهان يقنعنا ولن يحدث ذلك ،ولكن البعض قد يقول أن الكون خلق بالمصادفة ونقول له هل المصادفة تخلق نظاماً بهذه الدقة ؟ ثم من خلق المصادفة نفسها ؟ وهل المصادفة تخلق خلقاً بهذا الوعى وتسخر له كل ما يخدمه بلا تمرد من المسخرات كهذا الحادث ؟؟! كلا وقد يقول قائل كانت هناك ذرات ساكنة تحركت وتكثفت واتحدت وكونت الخلق ، والرد عليه يكون من إذن حرك هذه الذرات وجعلها تتحد ؟ ثم من خلق هذه الذرات أصلاً وهيأ لها ظروف الإتحاد والتكثف ؟ ويقولون كان أصل الإنسان قرد ثم تطور وصار إنساناً فنقول له إذا كان هذا أصل الإنسان فماذا كان أصل السماء ،وعن أى شئ تطورت الأرض وماذا كانت والبحار والجبال والشمس والقمر والنجوم ، ثم إذا كان أصل الإنسان قرداً فمن الذى خلق القرد الأول ؟ ثم لماذا توجد القردة الآن إذا كانت تطورت وصارت إنسانا ؟!! وقال البعض أن أصل الحياة خلية واحدة وجدت فى الماء نتيجة

التفاعلات الكيماوية فنقول لهم ومن خلق الماء الذى كانت فيه الخلية ؟ ، ثم لماذا انقسامات الخلية والتى نتج عنها هذا الكون بهذا النظام لم تفسر لنا كيف جاء آدم بدون أم وأب وعيسى بدون أب وحواء بدون أم ؟ ثم لم لم تفسر لنا لماذا جاءت بذكر وأنثى فى جميع الكائنات الحية المتكاثرة ونقضت الوتيرة فى هؤلاء الثلاثة فقط ؟ كما أن الرد على هؤلاء يجب أن يكون رداً قاطعاً للجدل منهياً للقضية كما فعل إبراهيم فى جداله مع النمروذ حيث قال إبراهيم (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ) قال أنا أحيي وأميت وهنا وجد إبراهيم نفسه أمام رجل يجادل فى الباطل فأراد أن ينهى القضية ويقطع الجدل فجاء بدليل معجز فقال (فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [1] كما نرد عليهم ونقول لهؤلاء المجادلين هل شهد أحد منكم الخلق فإن أجابوا بنعم فقد أثبتوا كذبهم البين وافترائهم الفاضح، حيث عمرهم لا يتعدى بدايته تاريخ ميلاد أحدهم أفبلغ عمره عمر السماوات والأرض ؟ فان قال لا قلنا له فلم تجادل فيما ليس لك به علم ؟ ان الوجود الإلهى لا يحتاج لتدليل حتى الكفار لم ينكروا وجود الله وخلقه لكل شئ {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يؤْفَكُونَ }(٢)إن هذا الكون كله بما فيه ومن فيه من أصغر ذرة إلى النملة إلى الحوت من الحيوانات إلى الإنسان إلى الجبال

---

١) البقرة٢٥٨ ٢) العنكبوت٦١

الشامخات إلى الأرض الفسيحة إلى السماوات المتسعة التى لانهاية لها ألا يشهد كل ذلك على وجوده وفرديته وصمدانيته ؟ إن الله لو لم يخلق إلا كائناً واحداً لدلنا ذلك على أنه موجود ، وأنه القدير البديع {خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }(١) قال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ*ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}(٢) ولقد ظلت هذه القضية أربعة عشر قرناً إلى أن جاء العلم الحديث ،وأثبت أن هذه المراحل التى ذكرت هى ذات المراحل التى يمر بها خلق الإنسان فعلاً ،وأن هناك تتابعاً سريعاً فى الخلق ،ولذلك فقد استخدمت الفاء للعطف ثم يأخذ فترة ليظهر الجنين فى شكله الأخير ولذلك استخدم لفظ ثم وهى للمباعدة ،كما أن الواقع أثبت صدق القضية التى جاء بها الدين إن الحق يقول(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ) وقال {خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}(٣) وبتحليل عناصر الأرض وجد العلماء انها تتكون من نفس العناصر التى يتكون منها جسم الإنسان ،كما أن قضية الهدم تثبت صدق المخبر عن قضية البناء ،فالإنسان يبنى أولا الأساس ثم الدور الأول فالثانى فالثالث ،وهكذا فإذا أراد أن يهدم فيهدم آخر ما بنى ثم ما قبل الأخير وما بنى أولاً يهدم أخيراً ، يقول الشيخ الشعراوى فى قضية الموت إثبات لصحة الخبر

---

١) الرعد١٦ ٢) المؤمنون ١٢-١٤ ٣) الرحمن١٤

عن قضية الخلق ، فالحق يقول إنه خلق الإنسان من حمأ مسنون وهو الطين المتعفن ،ثم نفخ فيه الروح ،والموت سلب للروح، وهى ما جاء آخر شئ ثم يتعفن الإنسان ، ثم يصير رماداً وهى بعكس قضية البناء والخلق ، فإذا حللنا الرماد المتبقى بعد وفاته وتحلله ،وجدناه من نفس العناصر المكونة للترا ب فصدق الله العظيم ، ولكن على الرغم أن الكون كله بكل مافيه ينطق بألوهية الله الواحد القهار، إلا أن الشيطان أغوى بعض بنى آدم فأنكروا وجوده ، ولسنا فى حاجة إلى القول بأن قائل ذلك كافر ،فإذا كان مدعى النبوة كافر ،ومنكر القرآن كافر ،ومنكر الرسل كافر أفلا يكون منكر الذات الإلهية كافرًا ؟؟؟

إدعاء الألوهية إن لفظ إله ورب بما يحملان من عظمة وسيادة وقوة وشموخ وصفات راسخات فى النفس البشرية عن معنى الألوهية والربوبية ، هذه الصفات أغرت البعض منذ بدء الخليقة على أن يدعى أنه هو الإله أو الرب سعياً وراء مافيهما من سمو وارتقاء ، وبلغ اللوث فى مصر الفرعونية وأوروبا أنهم كانوا يؤلهون الحاكم نفسه بلا ادعاء منه أحياناً ، ويعطونه كل ما يجب للإله الحق من صفات ويسجدون له ويسبحونه ،ويسعون إلى الخلود فى الآخرة باسمه ، وتمسك الحكام بذلك أيما تمسك ، ولقد أورد الحق سبحانه طرفاً عن اثنين منهم ممن ادعى الألوهية، ودافع عنها مستميتاً متمسكاً بما تحقق له فى دعواه من مكاسب يخسرها برجوعه عن دعواه إياها ، هما النمروذ الذى حاج إبراهيم الخليل قال تعالى{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ

اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(١) ولما انهى ابراهيم القضية قال تعالى {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ}كما ذكر الفرعون فقال { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى* وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى* فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى* فَكَذَّبَ وَعَصَى* ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى* فَحَشَرَ فَنَادَى* فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى}(٢) فكان عقابه ان لم يقبل الله توبته لأنه طغى و استكبر وجاوز الحد حتى أنه كان يريد أن يصعد الى السماء من سخافة عقله وفساد خلقه فيطلع إلى إله موسى على زعمه محاولاً رؤية الله سبحانه وتعالى عن الإدراك ، وكان فى ذلك مدافعاً عن الألوهية التى منحها لنفسه وأقره عليها العامة من كفرهم وزيغهم وضلالهم ، ولكن الله أنجاه ببدنه فقط ليرى بنى اسرائيل ، وبقية شعبه أن إلاههم الذى كانوا يعبدونه لا يصلح للألوهية فليس ثمة إله يموت أو يعجز عن أن يدفع عن نفسه الضر ، بل الإله الحق هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم تقدست أسماؤه ، ولقد ادعى الألوهية كثيرون عبر التاريخ منهم الحاكم بأمر الله الفاطمى ومسيلمة الكذاب الذى سمى نفسه الرحمن وغيرهم كثير ،إن الذى ينازع الله فى ألوهيته خارج عن معايير العقل ، بعيد عن كل مقاييس الإتزان

النفسى فهو يعى أنه لايملك أى صفة من الصفات الإلهية وهو مع ذلك يكابر ويرفض الإذعان بكونه بشراً عبداً يدفعه إلى ذلك ويقف وراء

---

١) البقرة ٢٥٨ ٢) النازعات ١٨-٢٤

ألوهيته وهم ومرض وشيطان يزين له ذلك ، ويمنعه من الإعتراف بعبوديته لأن فى ذلك هدم لأوهام العظمة والألوهية وتسوية بأقل فرد من الرعية فى عبودية الجميع للإله الواحد الأحد الحق وبدهى أننا لا نحتاج إلى تدليل على أن مدعى الألوهية كافر مخلد فى الجحيم فمن أكفر ممن جعل نفسه لله نداً ، ولو لم يكن هناك من الأدلة إلا قوله سبحانه فبهت الذى كفر لكفى قال تعالى {وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ }(١)وقال تعالى {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ }(٢)

الشرك بالله إن الشرك أعظم ظلم يظلم الإنسان به نفسه، حيث يخرجه الشرك من الملة ، ويعتبر حكمه حكم الكافر {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }(٣) ولا يغفره له الحق تبارك وتعالى إن مات ولم يتب منه ، أما من تاب منه وعاد فان الحق يغفر له ويتوب عليه قال تعالى{ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }(٤) لذلك فقد اعتبره الإسلام أكبر الكبائر لقول النبى ﷺ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قالوا بلى يارسول الله قال الإشراك بالله ،وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال(٥) ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت كما قال النبى ﷺ (

---

١) الأنبياء٢٩ ٢) الأنبياء٩٨ ٣) لقمان١٣ ٤) الزمر٥٣ ٥) متفق عليه

اجتنبوا السبع الموبقات ،وذكر منها الشرك بالله (١) ، والشرك يكون بعبادة غير الله معه من حجر أو شجر أو صنم أو طاغوت أو نار أو بقر أو أى شئ مما يعبده الحمقى مع الله ، ولقد حكى القرآن عن حجة بعضهم ، فذكر أنهم يقولون {قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ }(٢) وقال تعالى {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثارهِم مُّهْتَدُونَ }(٣) وقال تعالى {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ }(٤) والحمقى يعتقدون أن هذه الطواغيت التى لا تعى ولا تملك لنفسها ضراً ولانفعاً هى السبب فى قبول الحق لأعمالهم ، ولا يعلمون بجهالتهم أن هذه العبادة تخرجهم من الإيمان إلى الكفر المطلق ، الذى لا جزاء له إلا الخلود فى الجحيم ، ولقد حكم الحق عليهم بذلك حيث قال {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ }(٥). وهذا يلزمه الكفر جاء فى اقتضاء الصراط المستقيم جماع الأمر أن الشرك نوعان شرك فى الربوبية بأن يجعل لغيره معه تدبير وشرك فى الألوهية بان يدعو غيره معه دعاء عبادة ، أو دعاء مسالة كما قال تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (٦)

ادعاء النبوة بعد بعثة النبى ﷺ وجد بعض المهاويس ومجانين السلطة

---

١)متفق عليه ٢) الشعراء٧٤ ٣) الزخرف٢٢ ٤)الزمر٣ ٥) المائدة٧٢
٦) الفاتحة ٥

والنفوذ فى حفاوة المؤمنين بمحمد ، وماحباه الله به من اتساع السلطان والنفوذ الماضى مكانه حسده البعض عليها ، فظن أن ادعاء النبوة قد يمكنه من نوال بعض ما ناله محمد كما كان للعصبية القبلية دوراً أيضاً ، ونلمح ذلك فى قول طلحة النمرى لمسيلمة الكذاب اشهد انك كذاب ، وان محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضرر ، كما قد يستغل أعداء الدين أحد الأشخص ويوهمونه بملامح النبوة فيه فيدعيها ، ويساندوه ليحاولوا هدم الإسلام وليسوا بفاعلين كما حدث مع البهاء والباب ، أو يدعيها هو فيسانده الإستعمار لنفس السبب ، كما حدث مع غلام أحمد القاديانى فى الهند ، ومع تعدد الأسباب والدوافع تعدد مدعوا النبوة ، وما أسرع ما كان الحق سبحانه يكشفهم ويكشف زيغهم وبطلان دعواهم فلا يصح ان يتركهم الله هكذا فكل من ادعى النبوة تجد الحق يفضحه أول ادعاؤه لذلك اذ ان الحق سبحانه لا يدلس على منهج السماء (١) ولأن ثمارهم تنبأ عنهم فأن الفرق بين محمد ومسيلمة الكذاب لمن شاهدهما أظهر من الفرق بين وقت الضحى ومنتصف الليل فى حندس الظلماء فمن شيم كل الأنبياء والكذبة وأفعالهم وكلامهم يستدل كل من له بصيرة على صدق الأنبياء ، وكذب المدعون ، ولقد ذكر لنا التاريخ كثيراً منهم مثل مسيلمة وسجاح والأسود العنسى والجلندى والحلاج ومحمود بن فرج النيسابورى والحارث بن سعيد

---

١) تفسير الشيخ الشعراوى

والمازندرانى والمتنبئ الشاعر المعروف وكثير غيرهم قال رسول الله ﷺ (بين يدى الساعة كذابون دجالون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه نبى ، وانى آخر الأنبياء)(١) ولقد حذر الله سبحانه فى عدة آيات من ان يفترى احدا فيدعى انه نبى ، أو أنه يوحى إليه فقال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللّهُ }(٢) وقال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }(٣) قال قتاده وعكرمة نزلت فى مسيلمة الكذاب ، وانك لتجد ان الله سبحانه فى غالب الآيات التى يصم بها الكذابين الذين كذبوا وادعوا النبوة يقول فمن أظلم أى أنه ليس هناك من هو أكثر ظلماً ممن يدعى هذا وليس هناك أعتى منه ، ووصفهم بالظلم والإجرام ، وحكم عليهم بالظلم والكفر فقال { وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ }(٤) ومع نص الآية لا نحتاج إلى دليل على أن مدعى النبوة كافر مخلد فى الجحيم إن مات على ذلك ولم يتب .

<u>التفريق بين الله ورسله</u>: لقد ظن أهل الكتاب انهم يمكنهم ان يكفروا بمحمد ويؤمنوا برسلهم فقط فارادوا أن يفرقوا بين الأنبياء ولكن الحق سبحانه أمر الأنبياء جميعهم أن يامروا أممهم ان يؤمنوا بمحمد وبعثته فإذا ما كفروا به فكانهم ردوا شرع الله لهم وكفروا به ، قال تعالى

---

١) رواه ابن حبان والبيهقى ٢) الأنعام٩٣ ٣) الأنعام٢١ ٤) الأنعام١٣٠

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً }(١) قال القرطبى لما ذكر المشركين والمنافقين ذكر الكفار من أهل الكتاب اليهود والنصارى اذ كفروا بمحمد ﷺ ، وبين أن الكفر به كفر بالكل ، لأنه ما من نبى الا وقد أمر قومه بالإيمان بمحمد ﷺ وبجميع الأنبياء ، ومعنى (يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) أى بين الإيمان بالله ورسله ، فنص الحق سبحانه على أن التفريق بين الله ورسله كفر ، وانما كان كافراً لأن الله سبحانه فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على السنة الرسل ، وإذا جحدوا الرسل ردوا عليهم شرائعهم ، ولم يقبلوها منهم فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التى آمنوا بها ، وبالتزامها فكان كجحد الصانع سبحانه ، وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية ، وكذلك التفريق بين رسله فى الإيمان بهم كفر وقد حاول اليهود ان يجدوا وسيلة يؤمنون من خلالها ببعض الرسل ويكفرون بالبعض الآخر ، فرد الحق سبحانه على ذلك بأن هذا هو الكفر الحق قال تعالى {أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً }(٢) تأكيد يزيل التوهم فى إيمانهم حين وصفهم بأنهم يقولون نؤمن ببعض وأن ذلك لا ينفعهم اذا كفروا برسوله ، واذا كفروا برسوله فقد كفروا بالله عز وجل وكفروا بكل رسول مبشر بذلك الرسول فلذلك

---

١) النساء ١٥٠ ٢) النساء ١٥١

صاروا هم الكافرون حقاً فمن قال من المسلمين نؤمن بمحمد ونكفر بعيسى او نؤمن بعيسى وننكر موسى أو أى رسول أنكروه ورد على رسالته دليل بنص فى القرآن فهو الكافر حقاً بنص الآية ٠

التثليث: التثليث هو القول بالأقانيم الثلاثة ، والأقنوم هو الأصل أى أن العالمم يحكمه ثلاثة هم إله فى زعمهم متمثلينه فى الأب والابن والروح القدس ، وهذا ما تقوله النصارى وبدأ فيهم فى ثلاثة فرق منهم هى الملكانية واليعقوبية والنسطورية ثم زاد فى الآونة الأخيرة حيث تجد الآن الكثير من فرقهم ممن يجعلون بسملتهم بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين ويدعون أنه التوحيد فيقولون هو كالشمعه تجمع فى عين ذاتها الجسم والنار والنور فى شئ واحد هو الشمعة وهذا كفر محض فالله واحد أحد فرد صمد {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ*وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ}(١) وحيث لا إجتهاد مع النص فقدكفانا الله مؤنة البحث فى كلام العلماء وآراءهم فقد حكم هوبكفر معتقد ذلك فقال تعالى {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }(٢) وقال تعالى {وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً }(٣) فمن قال بالتثليث فهو بنص القرآن كافر ٠

---

١) الإخلاص ٢) المائدة٧٣ ٣) النساء١٧١

تأليه عيسى : قال أكثر النصارى ان المسيح هو الله ولعلك اذا وقع فى يدك كتاب العهد الجديد وجدت أول صفحة منه تقول بسم الله ربنا يسوع المسيح والعياذ بالله كما ان لهم فى سبب ادعاء ذلك هرطقات كثيرة تشمئز منها الفطر السليمة ولاتنطلى على ذى لب لبيب ولقد انكر المسيح ذلك قبل ان يقولوه فقال وهو فى مهده فى اول كلمة نطق بها انى عبد الله ولم يقل انى انا الله ولا ابن الله بل قال {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّه آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً }(١) كما قال { اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ } أى يعبد معه غيره { فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عليه الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ}(٢) اى فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنه ثم هل هناك اله يولد ؟ اذن فمن كان يدير حركة العالم قبل ميلاده ومن يديرها بعد موته فكل مولود ميت ثم من خلق جميع الذين وجدوا قبل ميلاده ؟ ثم هل هناك اله يموت ؟ كما انكم تقولون انه صلب وقتل فاذا كان اله فمن صفات الله العلم والقدرة الم يعلم ما سيحدث له فيتجنبه بعلمه ؟ او يدفع عن نفسه بقدرته ؟ ثم لما مات فى زعمكم قلتم قام ورفعه الله اليه بالقيامة فاقررتم ان الله غيره ثم لمن قال ان هذا كان ليطهر الله الدم البشرى من خطيئة آدم نقول لماذا صبر الله الى هذا الزمان الذى ولد فيه عيسى ليطهر دم آدم وما ذنب الذين ماتوا قبل مجئ عيسى هل سيظل دمهم به خطيئة الأب الأول ثم هل يحتاج الإله الى هذه التمثيلية ليغفر بها لآدم ؟ ألم يك يستطيع أن يغفر

---

١) مريم ٣٠ ٢) المائدة٧٢

له بدون الدخول فى هذه الدوامات والهرطقات ويجنبكم الدخول فى القول بالناسوت واللاهوت ولقد انكر عيسى نفسه ذلك بقوله انى عبد الله كما ورد فى القرآن الكريم تبريه من ذلك قال تعالى {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}(١) ولقد حكم الحق سبحانه بكفر من قال ذلك فقال {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } (٢) فمن قال بالهية عيسى فقد كفر ومن حاباهم وتلطف معهم وانكر كفرهم فهو معهم كافر بالقرآن مشترك معهم فى الكفر ٠

<u>موالاة أهل الكفر</u> : لقد قال الحق سبحانه فى كتابه العزيز {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ }(٣) ومفاد ذلك انه لم يترك قاعدة من القواعد التى أراد المسلمون عليها الا واوضحها فى كتابه العزيز ومن قواعد التعامل مع أهل الكفر قاعدة اساسية اعتبرها الشارع هى الأصل فى التعامل معهم وهى {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

١) المائدة ١١٦-١١٧ ٢) المائدة١٧ ٣) الأنعام٣٨

الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(١) وبذلك فهو لم يمنع من التعامل معهم تعاملاً ظاهرياً بما يؤدى الى الإنتفاع بما عندهم فيما لم يحرم علينا وعدم حجب النفع عنهم فيما اذا كان بذله اليهم غير محرم كما أحل لنا أكل طعامهم حيث قال {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (٢) كما لم يمنع من الزواج ممن نشاء منهن ان كن متمسكات بصحيح ما انزل اليهم وهذا غير متاح الآن لما طرأ على كتبهم من التحريف والتبديل والوضع ولكنه منع الزواج من رجالهم لكون المسلم مؤتمن على نساءهم اما رجالهم فهم غير امناء على نساء المسلمين فحرم ذلك علينا حيث قال تعالى {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(٣) ولقد شدد الحق سبحانه فى النهى عن موالاتهم حتى ولو كان ابويه او كان اخاه ما كانوا مشركين الا فيما يخص التعامل الظاهى

---

١) الممتحنة٨ ـ٩ ٢) المائدة٥ ٣) المائدة ٥

فقط {وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا } (١) وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }(٢) ثم نهى عن التودد اليهم ومؤاخاتهم مطلقا فقال {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ }(٣) قال ابن كثير نهى الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين ثم توعد على ذلك فقال من يفعل ذلك فليس من الله فى شئ، أى ومن يرتكب نهى الله تعالى فى هذا فقد برئ الله منه كما نفر من موالاة اعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون افضل ما يعمله العاملون وهى شرائع الإسلام المطهرة الشاملة لكل خير دنيوى وأخروى يتخذونها هزؤا ولعباً ويستهزأون بها ولعباً يعتقدون انها نوع من اللعب فى نظرهم الفاسد ، حيث قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }(٤) فقوله ان كنتم مؤمنين اى ان ذلك ليس من صفات المؤمنين ولا من شيماهم ان يوالوا الكفار ثم نفى الإيمان عن فاعل ذلك فقال {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَـكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ }(٥)

---

١) لقمان١٥ ٢) التوبة٢٣ ٣) آل عمران٢٨ ٤) المائدة٥٧ ٥) المائدة٨١

ثم اكد ان الموالاة قد تصل بمن يواليهم ان يكون منهم فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }(١) وجاء فى آخر سورة النساء {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً }(٢) فقوله انكم اذا مثلهم ، يعنى انهم كما شاركوهم فى الكفر كذلك شاركوهم فى وحدة المصير فيشارك الله بينهم فى الخلود فى الجحيم ، وهو بذلك وصم الموالين بالنفاق ، ثم اعلم بمقر المنافقين فى الآخرة كما قرن الموالين بالكفار فقال تعالى {وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء }(٣) ومعناه ان لو داومتم على موالاتهم فلربما تكفروا كما كفروا فلا يغررنك أيها المسلم ما تجد فيهم من لين وحسن حديث وصدق احياناً فهو شرك يريدون ان يوهمونا بحسن مذهبهم واعتقادهم فيقع فيه الضعاف منا ، قيل ان طاعة اهل الكتاب والتلقى عنهم واقتباس مناهجهم واوضاعهم تحمل ابتداءا معنى الهزيمة الداخلية والتخلى عن دور القيادة الذى من اجلها نشئت الأمة الإسلامية ، كما تحمل معنى الشك فى كفاية مهج الله لقيادة الحياة وهذا بداية دبيب الكفر فى النفس ، قال ابن سيرين ليتق احدكم ان يكون يهودياًاو نصرانياً وهو لا يشعر ، كما سئل ابن

---

١) المائدة٥١ ٢) النساء١٣٩ ٣) النساء٨٩

عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال كل قال الله تعالى {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }(١) هذا ما يخص الآيات القرآنية ، اما عن اقوال العلماء فقد ورد فى بيان للناس الصادر عن الأزهر الشريف ما نصه :- بالتطبيقات التى طبقها من يقتدى بهم من الصحابة يعرف العلاقة بين المسلمين وغيرهم ، خلاصة ما قيل فيها ان التعامل الظاهرى بالمعاملات المباحة كالتجارة والزيارة والهدايا والتعاون على المصلحة بالاتفاقات الفردية او الجماعية ، كل ذلك لا يمنعه الإسلام مادام لا يضر الإسلام فالإسلام لا ضرر فيه ولا ضرار ، وعليه فاتخاذهم اولياء تضر موالاتهم بالمسلمين حرام ، اما الحب والمودة فان كان ذلك حبا لعقيدتهم ودينهم فهو حرام بل كفر وان كان حبًا لبعض سلوكياتهم كالنظافة والأمانة والعلم والنشاط فلاحرمة فيه ولاكفر قلت :- معهم فى أى أمر من الأمور فيما عدا حسن الجوار ما دام هناك عهد وإن لا فلا حرصاً على سلامة العقيدة وعدم دخول أى شئ إليها فما ظهرت الفرق الإسلامية إلا بعد الإحتكاك بكتب الفلسفة الغربية ، وما ظهر الفساد فى العالم الإسلامى إلا بعد تولية بعضهم فى مناصب قيادية أيام الخلافات الإسلامية بعد الراشدة ، فما دخل الإسلام ما دخله إلا بعد التعامل معهم وإشتراكهم معنا فى أعمالنا وحركة نشاطنا ، وتأسياً

---

١)المائدة ٥١

بماكان عليه المسلمون الأول الصالحون ، وما سنه النبى ﷺ فقد روى عن عمر بن الخطاب أنه طلب رجلاً يستعمله على بعض الأعمال فأتوه بنصرانى فقال طلبت رجلاً أشركه فى أمانتى فأتيتمونى بمن يخالف دينه دينى كما روى عن عياض قال إن عمر أمر أبا موسى الاشعرى أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى فى أديم واحد ، وكان له كاتب نصرانى فرفع اليه ذلك فعجب عمر ، وقال ان هذا لحفيظ (يقصد التقرير المكتوب فى الجلد لا من كتبه) هل أنت قارئ لنا كتاباً فى المسجد جاء من الشام ، فقال أبو موسى إنه لا يستطيع ، فقال عمر أجنب هو ؟ قال لابل نصرانى ، قال فانتهرنى وضرب فخذى ، ثم قال أخرجوه ، ثم قرأ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء }[1] كما روى عن جابر أن النبى ﷺ لما أراد الخروج إلى أحد جاءه قوم من اليهود ، فقالوا نسير معك فقال النبى ﷺ انا لا نستعين على أمرنا بالمشركين) وهذا نهى صريح عن الدخول معهم فى أحلاف عسكرية أو اتفاقات من شأنها السماح لهم بالتدخل فى أمورنا الداخلية وبذلك يثبت النهى عن التعامل معهم مطلقاً وليس بالنهى الذى يتعلق بالمودة والحب فقط فهم ليسوا أمناء على أنفسهم بانكارهم وحدانية الله فهل نأمهنم نحن على ما استأمننا الحق عليه من حمل عبء الدعوة إليه بعد وفاة النبى ﷺ فان قال قائل المعبود واحد وان كانت الطرق مختلفة ، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التى تتضمن إما كون

---

١) المائدة ٥١

الشريعة النصرانية واليهودية المبدلتين المنسوختين موصلة إلى الله ، واما استحسان ما فيهما مما يخالف دين الله ، أو التدين بذلك أو غير ذلك مما هو كفر بالله ورسوله ، وبالقرآن وبالإسلام بلاخلاف بين الأمة الوسط فى ذلك ، وأصل ذلك المشابهه والمشاركة ، وبذلك يتبين كمال موقع الشريعة الحنيفية ، وبعض حكمة ما شرعة الله لرسوله من مباينة الكفار، ومخالفتهم فى عامة أمورهم لتكون المخالفة أحسم لمادة الشر ، وأبعد عن الوقوع فيما وقع فيه الناس ، كما أننا لو لم نر موافقتهم قد أفضت إلى هذه القبائح لكان علمنا بما فطرت عليه الطبائع استدلالاً بأصول الشريعة يوجب النهى عن هذه الذريعة(١) ، فكيف وقد رأينا ما قد يوجب الخروج من الإسلام كلية هذا الذى اعترض عليه ابن تيميه ، ويقول رأينا من المنكرات (هذا فى زمنه فماذا لو رأى ابن تيمية ما نراه نحن الآن) قال ابن حجر العسقلانى فى قول بعض الناس الكفار خير من المسلمين فى أداء الحقوق ، وما يشبه ذلك من أقوال الإعجاب بسلوكهم :- لو قصد الخيرية المطلقة وهى التى تشمل عقيدتهم ودينهم كله كفر وإن أراد الخيرية فى أداء الحقوق لم يكفر ، إنك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضاً ما لا يألفون غيرهم حتى أن ذلك يكون مع المعاداة لهم والمحاربة لهم إما على الملك وإما على الدين ، وكذلك تجد الملوك ونحوهم من الرؤساء وان تباعدت ديارهم ومماكهم بينهم

١) اقامة الدليل على بطلان التحليل

مناسبة تورث مشابهة ، ورعاية من بعضهم البعض ، وهذا كله بموجب الطباع ، ومقتضاها إلا أن يمنع عون ذلك دين أو غرض خاص فإذا كانت المشابهة فى أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة فكيف بالمشابهة فى أمور دينية فان إفضاؤها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد والمحبة والموالاة لهم تنافى الإيمان كما ورد بنصه فى الآيات الكثيرة التى سبق ذكر بعضها والمشابهة لها صور كثيرة ، والمشاركة هى لب الموالاة فمن صور المشاركة الحزن لحزنهم ، والفرح لفرحهم قال ابن تيمية تحرم مشاركة المشركين فى أعيادهم كعيد الميلاد ، وعيد الغطاس ويحرم على المسلمين إعانتهم على أعيادهم فى بلاد المسلمين لا يباع لهم ما يستعينون به على عيدهم ، ولا بإجارة ما يركبونه لأن أعيادهم مما حرمه الله ورسوله ، وأما إذا فعل المسلمون معهم ما يفعلونه فى أعيادهم مثل صبغ البيض ، وتحمير الدواب ، وتوسيع النفقات ، وعمل هذا أظهر من أن يحتاج إلى سؤال بل قد نص طائفة من العلماء الحنفية وأصحاب مالك على كفر من يفعل ذلك معهم ، ومن شاركهم فى أى مظهر من مظاهر الاحتفال بأعيادهم على وجه العبادة ، والتقرب به ، واعتقاد التبرك به فانه يعرف دين الإسلام ، وحرمة ذلك عليه ، ونهى الإسلام عن ذلك ، وان ما يفعله ليس من الدين بل هو ضده ويستتاب منه فان تاب وإلا قتل ومن عاون من أولى الأمر على التغرير بالمسلمين ، وإفهامهم ان أعياد المشركين هى أعياد المسلمين ، وتغيير أسماءها

لخداعهم أكفر من المشاركة فهو الداعى إلى الضلالة ، وهو ليس مشاركاً فقط بل محارباً لله ورسوله فتغيير الأسماء مثل أن يسمى شم النسيم عيد الربيع ، أو أن يسمى فصح اليهود عيد الربيع أو عيد الجمال كما بدأنا نرى ، والمشاركة مثل الإحتفال بليلة رأس السنة الميلادية والسهر مع الكفار فى كنائسهم ، وشرب الخمور معهم ، ومن صور المشاركة والمشابهة والموالاة اتباع التقويم الميلادى ونبذ التقويم الهجرى ، وكالنذر لقبر من قبور النصارى فمن فعل ذلك فانه يستتاب بل كل من عظم شيئاً من شعائر الكفار مثل الكنائس ، أو قبور القسيسين او عظم الأحياء منهم يرجو يركتهم فانه كافر يستتاب ومن المشاركة والموالاة استعمال لغتهم بغير داعى ، والتشدق بها وصور الموالاة والمشابهة كثيرة جداً (١)الاستطراد فيها قد يجرنا إلى الخروج من الموضوع الأصلى ، روى البيهقى باسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو قال من بنى ببلاد الأعاجم وصنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة ، قال ابن تيمية هذا يقتضى أنه جعله كافراً بمشاركتهم فى مجموع هذه الأمور ، أو جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار ، وان كان الأول ظاهر لفظه فتكون المشاركة فى بعض ذلك معصية لانه لو لم يكن مؤثراً فى استحقاق العقوبة لم يجز جعله جزاء من المقتضى اذ المباح لا يعاقب عليه ، وليس الذم على بعض ذلك

١) مختصر الفتاوى ص ٥٥٢

مشروطاً لأن أبعاض ما ذكره يقتضى الذم مفرداً ، وانما ذكر من بنى ببلادهم لأنهم على عهد عبد الله بن عمرو وغيره من المسلمين كانوا ممنوعين من إظهار أعيادهم بدار الإسلام وما كان أحد من المسلمين يتشبه بهم فى عيدهم ، وانما كان يتمكن من ذلك بكونه فى أرضهم فاذا جاء المتشبه بفعل يشبه فيه أهل الكفر بما يدل دلالة قطعية على الاستخفاف بالدين ، أو على التكذيب بشئ مما علم من الدين بالضرورة كان ذلك ردة فيكفر ، وعلى ذلك يكفر كل من حبذ واستحسن ما هو كفر إذا وجد منه ما يدل على ذلك دلالة قطعية قال الشيخ عبد المجيدسليم قول الرسول ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم يحمل على أنه يكون كافراً مثلهم إن تشبه بهم فيما هو كفر ،كتعظيم يوم عيدهم تبجيلاً لدينهم ، أو لبس شعارهم قاصداً الاستخفاف بالدين فقد كفر ٠

ومظاهر الموالاة أخذت صوراً شتى فمن الميل القلبى إلى انتحال مذاهبهم الاجتماعية وغيرها من المذاهب إلى مجاراتهم فى تشريعاتهم ، إلى كشف عورات المسلمين لهم ، إلى كل صغيرة وكبيرة فى حياتهم ٠

وهذا من أعظم النواقض التى وقع فيها سواد الناس اليوم فى الأرض بعد ذلك يحسبون على الإسلام ويتسمون بأسماء إسلامية فلقد صرنا فى زمن يستحى فيه أن يقال لكافر يا كافر بل زاد الأمر عتواً بنظرة الإعظام والإكبار والتعظيم والمهابة لأعداء الله وأصبحوا موضع القدوة والأسوة

لأهل الإيمان ينظرون إلى أعداء الله نظرة انبهار ملؤها التمنى أن يكونوا مثلهم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه ٠

من هنا فان إدراك حقيقة هذه العقيدة ونواقضها ، أمر كفيل بأن يجعل المرء على بصيرة من أمره فى عقيدة الولاء والبراء ، حسب المقياس الشرعى الصحيح وليس حسب أهواء البشر إنه لا ولاء إلا لله ولرسوله والمؤمنين ، والبراء من كل متبوع أو مرغوب أو مرهوب يحاد الله ورسوله ٠

الحكم بغير ما أنزل الله:

ان الآيات الثلاث التى فى سورة المائدة ، وعجز كل منها تكفير من لم يحكم بما أنزل الله وهى {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }(١) {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }(٢){وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }(٣) ثارت الكثير من الجدل ٠

ذكر القرطبى فى تفسيره أنها نزلت فى الكفار كلها ، وقال ثبت ذلك فى صحيح مسلم من حديث البراء ،فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب الكبيرة ، وقال قيل فيه إضمار أى ومن لم يحكم بما أنزل الله ردا للقرآن وجحد القول الرسول ﷺ فهو كافر قاله ابن عباس ومجاهد ، فالآية عامة على هذا ، قال ابن مسعود والحسن هى عامة فى كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار أى معتقداً ذلك ومستحلاً له فأما من فعل ذلك وهو معتقد انه راكب حرام فهو من فساق المسلمين وأمره إلى الله

تعالى إن شاء عذبه وان شاء غفر له ، وقال ابن عباس فى روايه ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلاً يضاهى أفعال الكفار وقيل أى ومن لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ، فأما من حكم بالتوحيد ولم يحكم بعض الشرائع فلا يدخل فى هذه الآية والصحيح الأول ، إلا أن الشعبى قال هى فى اليهود خاصة واختاره النحاس ، قال ويدل على ذلك ثلاثة أشياء هى أن اليهود قد ذكروا قبل هذا فى قوله (للذين هادوا) فعاد الضمير عليهم ومنها أن سياق الكلام يدل على ذلك ألا ترى ان بعده (وكتبنا عليهم) فهذا الضمير لليهود بإجماع وأيضاً فان اليهود هم الذين أنكروا الرجم والقصاص ولكن بعض العلماء رفض أن يكون المنقول عن قوله من لم يحكم بما أنزل الله خاص باليهود والنصارى وذلك :-

- أن هذا مناف للعدل الإلهى لأن معناه أن الله يكيل بمكيالين مكيال لليهود والنصارى ومكيال للمسلمين ٠

-ان العبرة من ذكر قصص أهل الكتاب فى القرآن أن يتعظ بها المسلمون

- ان القول بأن الآيات نزلت فى أهل الكتاب يعطى معنى أن ما أنزل الله على المسلمين دون ما أنزل الله عليهم يوجب الكفر أما ترك الحكم بما أنزل الله على المسلمين لا يوجب ذلك ٠

وعند ابن كثير ما يضاهى ذلك من حيث أن المسلم الذى يحكم بغير ما أنزل الله ليس بكافر كفر ملة فقد قال السدى ومن لم يحكم بما أنزل الله

---

١) المائدة ٤٤ ٢) المائدة ٤٥ ٣) المائدة ٤٧

فأولئك هم الكافرون يقول أن من تركه عمداً وهو يعلم فهو من الكافرين ،كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به ولم يتبعه فهو ظالم فاسق ، وقال آخرون كطاوس ليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقال الثورى عن ابن جريج عن عطاء، قال كفر دون كفر ،وظلم دون ظلم ،وفسق دون فسق [1] ، وقال وكيع عن سعيد المكى عن طاوس قال ليس بكفر ينقل عن الملة ، وقال ابن ابى حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس فى قوله (فأولئك هم الكافرون) ، قال ليس بالكفر الذى تذهبون إليه ، ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث سفيان بن عيينه ، وقال صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه وقال البيضاوى فى أنوار التنزيل (من لم يحكم بما أنزل الله) مستهيناً به منكراً له كفر للاستهانه والتمرد ،كما قال الزمخشرى مثل البيضاوى بكفر من تركه استهانه وفى المنار قال إن الذين يتركون ما أنزل الله فى كتابه من الأحكام من غير تأويل يعتقدون صحته فانه يصدق عليهم ما قاله الله تعالى فى الآيات الثلاث ، أو فى بعضها كل بحسب حاله فمن أعرض عن الحكم بحد السرقة ، أو القذف أو الزنى غير مذعن له لاستقباحه إياه وتفضيل غيره من أوضاع البشر عليه

---

١)رواه ابن جرير

فهوكافر قطعاً ، ومن لم يحكم به لعلة أخرى فهو ظالم إن كان ذلك لإضاعة حق أو ترك عدل ، وإن كان غير ذلك فهو فاسق فقط .

جاء فى جريمة الردة وعقوبة المرتد هل هو كفر أكبر يخرج من الملة أو كفر أصغر لا يخرج من الملة هذا يختلف باختلاف الأشخاص ،ومواقفهم فمن حكم بغير ما أنزل الله ، وهو يعتقد أنه عاص لله مخالف لأمره دفعه إلى ذلك الضعف واتباع الهوى وهو يرجو التوبة والمغفرة فكفره كفر أصغر ، ومن حكم بغير ما أنزل الله مستحلاً لذلك أو مستخفاً بحكم الله فقد دخل فى الكفر الأكبر والعياذ بالله وخصوصاً إذا اعتقد أن ما أنزل الله يمثل الجمود والتخلف والرجعية ، وما شرع الناس هو التطور والتقدم الذى يصلح به المجتمع وترتقى به الحياة ، ومن التحريف الظالم لآيات الخالق والسخرية الصارخة بعقول الخلق أن يقول قائل أن هذه الآيات نزلت فى شأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ونسى هذا القائل الجرئ أوتناسى أن هذه الآيات المحكمة وإن نزلت فى سياق خاص وجاءت بألفاظ عامة تتناول بحكمها جميع الأفراد الذين يشملهم مدلولها وهم كل (من لم يحكم بما أنزل الله) فالمدار على اللفظ لا على خصوص السبب كما قرر أئمة الإسلام وجاء فى مدارج السالكين فى قضية الحكم قال الصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم ، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله فى هذه الواقعة ، وعدل عنه عصياناً مع اعترافه بأنه مستحق

للعقوبة فهذا كفر أصغر ، وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر ، وإن جهله وأخطأه فهذا مخطئ له حكم المخطئين وجاء فى الولاء والبراء فى الإسلام أن الكفر دون الكفر فى قضايا الحكم ينطبق على الحاكم الملتزم للإسلام وشرائعة أى من يخالف النص أويحيد عنه وليس الأمر سارياً على من يحل القوانين محل شرع الله ، كما أن إقصاء الشريعة الربانية وإحلال أهواء البشر محلها من الأشياء التى كفر العلماء قديماً وحديثاً فاعلها لأنها من المعلوم من الدين بالضرورة ، وهل يجادل أحد فى ذلك والله يقول {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} .

جاء فى فتح المجيد قال جاء فى قرة العيون وأما ما يحكم به الجهلة من الأعراب ، ونحوهم من سوالف آبائهم وأهوائهم فليس من هذا الباب لما فيه من النهى الشديد ، والخروج عن حكم الله ورسوله إلى ما يخالفه قال تعالى {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }وهذا كثير فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه ، ومنهم من يتبع فى ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به ، وهذا كفر إذا استقر وغلب على من تصدى لذلك ممن يرجع الناس اليه اذا اختلفوا ، والنص صريح فى إبطال حكم السوالف من حكام البدو وجاء فى موكب الدعوة فمن حكم بغير كتاب الله وسنة رسوله قال فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله فلا يحكم سواه فى قليل ولا كثير قال تعالى {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ } وقال محمد بن

ابراهيم آل الشيخ فى تحكيم القوانين ان من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القوانين اللعينة منزله ما نزل به الروح الأمين بلسان عربى مبين

وجاء فى مجموعة التوحيد الرسالة الثانية عشرة من لم يعتقد بوجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر والأقوام يجب أن يعرفوا ذلك فان لم يلتزموا بذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار وجاء فى صفحة ٦٩ من نفس الكتاب فاذا حكم الحاكم برشوة أولقرابة أو شفاعة أو ماشابه ذلك فلاشك أن ذلك كفر دون كفر ، وأما ما جد فى حياة المسلمين وهو تنحية شريعة الله عن الحكم ورميها بالرجعية والتخلف وأنها لم تعد تواكب التقدم الحضارى والعصر المتطور فهذه ردة جديدة فى حياة المسلمين حيث تعدت الدعاوى فقط إلى الإقصاء الفعلى ، واستبدالها بقوانين غربية أو شرقية اشتراكية ملحدة وما أشبه ذلك من تلك النظم الجاهلية الكافرة .

وجاء فى فتاوى ابن تيمية إن التشريع الإسلامى يشمل أمرين أحدهما الشرع المنزل وهو الكتاب والسنة واتباعه واجب فمن خرج عنه وجب قتله ويدخل فيه أصول الدين وفروعه وسياسة الأمراء وولاة المال وحكم الحكام ومشيخة الشيوخ ، وغير ذلك ليس لأحد من الأولين والآخرين خروج عن طاعة الله ورسوله ، الثانى الشرع المؤول وهو موارد النزاع

بين الأئمة ، فمن أخذ فيما يسوغ فيه الإجتهاد وأقر عليه ولم تجب على جميع الخلق موافقته الا بحجة لا مرد لها من الكتاب والسنة ٠

جاء فى الحكم بما أنزل الله أما إذا كان العمل مخالفاً للكتاب والسنة فهو عمل باطل لمخالفته أمر الشارع والله تعالى يقول{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً }[1] وينطبق هذا الأمر على كل ما يقوم به الأفراد أو الجماعات أو الحكام أو المحكومين لان الخطاب والتكليف موجه لجميع المؤمنين ومن ثم فكل قانون أو لائحة أو أمر جاء على خلاف الشريعة فهو بطل بطلاناً مطلقاً ، وكل عبادة جاءت على خلاف الشريعة فهى عبادة باطلة ، وكل تصرف أو عقد جاء على خلاف الشريعة فهو باطل بطلاناً مطلقاً يقول د ٠ عبدالعظيم فودة فى الحكم بغير ما أنزل الله فعلى جميع الخلق أن يحكموا رسول الله ﷺ خاتم النبيين وأفضل المرسلين وأكرم الخلق على الله ليس لأحد ان يخرج عن حكمه فى شئ سواء كان من العلماء أو الملوك أو الشيوخ أو غيرهم ، ويترتب على وجوب الحكم بالشريعة الإسلامية وارتباط ذلك بالعقيدة الدينية ، ان القوانين واللوائح التى تنظم حياة الناس فى أى شأن من شئونهم اذا جاءت متفقة مع نصوص القرآن والسنة أو متمشية مع مبادئ الشريعة وقواعدها وجبت الطاعة لها والإلتزام بها ، أما إذا جاءت

---

١) النساء ٦٤

القوانين واللوائح مخالفة لنصوص القرآن والسنة أو مناقضة لمبادئ الشريعة وقواعدها فهى قوانين ولوائح باطلة ، ولا يجوز لاحد من المسلمين ان يطيع هذه القوانين او يلتزم بها ، بل يجب على كل مسلم ان يرفضها ويخرج عليها ذلك ان الأوامر والنواهى التى وردت فى القرآن لم تجئ عبثاً ، ولكن الله سبحانه انزل كتابه وارسل رسله للناس ليطيعوه ، ويعملوا بما جاء به فاذا كان العمل موافقاً للكتاب والسنة فهو صحيح.

قال الألبانى فى توضيحه لمعنى الآية فاولئك هم الكافرون ما المراد بالكفر فيها هل الخروج عن الملة؟ أو أنه غير ذلك أقول والقول للألبانى :- لابد من الدقة فى فهم هذه الآية فانها قد تعنى الكفر العملى وهو الخروج بالأعمال عن بعض أحكام الإسلام ويساعدنا فى هذا فهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الذى قال (ليس الكفر الذى تذهبون اليه وانه ليس كفراً ينقل عن الملة وهو كفر دون كفر) يقول الألبانى ولعله يعنى الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم كان عواقب ذلك سفك دماء المؤمنين وفعلوا فيهم مالم يفعلوا بالمشركين فقال ليس الأمر كما قالوا أو كما ظنوا وإنما هو كفر دون كفر كما أن كلمة الكفر ذكرت فى كثير من النصوص القرآنية والحديثية ولايمكن أن تحمل فيها جميعاً على أنها تساوى الخروج من الملة مثلاً قال ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله

كفر ومع أنه قال (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) لم يحكم على الباغية بالكفر فالكفر هنا معصية وليس خروجا عن الملة ٠

لقد أحسن أحد العلماء فى وصف من طمست بصيرته وأطاع القانون حيث قال: ان مثل هذا مثل من يتأذى من رائحة العطر الفواح ويحيا بالعذرة والغائط فى المستراح ومن نتائج المحادة لله ولرسوله والتولى عن حكم الله وشريعته هذه الذلة التى يعيشها المسلمون اليوم فهاهم أولاء اليوم كثير ولكنهم غثاء كغثاء السيل ، طمعت فيهم أاحقر الأمم وسيطرت عليهم أراذل الناس ، ولقد صدقت نبؤة النبى ﷺ فيهم حين قال يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل : ومن قله نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، و ليقذفن فى قلوبكم الوهن فقال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت[1] وجزءاً كبيراً من هذا الإنحراف الذى سيطر اليوم على حياة المسلمين يتحمله العلماء الذين يحسنون للناس أن يستبدلوا بشرع الله أهواء البشر ، ان هؤلاء ليحملون أوزارهم كاملة ومن أوزار الذين يضلونهم إلى يوم القيامة والإسلام برئ من هؤلاء ٠

رحم الله علماء السلف الذين كانوا حماة على ثغور الإسلام حتى لايؤتى

---

١) رواه ابو داؤد وابن حنبل

من قبل أحدهم فهذا الإمام الجليل الحافظ ابن كثير يذكر فى كتابه (تفسير القرآن العظيم) ما حل بالأمة الإسلامية أيام التتار ، قال ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهى عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء الأهواء ، والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بآراءهم وأهواءهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان ، الذى وضع لهم الياسق وهو عبارة عن مجموعة أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والإسلام وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت فى بنيته شرعاً ، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ، فلا يحكم سواه فى قليل أوكثير [1] يقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله الحالات التى إن فعلها الحاكم دخلت فى الكفر المخرج من الملة هى :-

- اذا جحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله ٠

- ان لم يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله إن حكم الله ورسوله أحق ولكنه اعتقد أن حكم غيرهما أحسن وأحكم وأدق وأشمل لما يحتاجه الناس وما استجد من حوادث نشأت عن تطور الزمان ، وتغير الأحوال فهذا لاشك فى كفره لتفضيله أحكام المخلوقين على أحكام الخالق ٠

- ان لايعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله ، لكن اعتقد أنه مثله ، فهذا كالنوعين السابقين كافراً كفراً ينقل عن الملة لما فى ذلك من تسوية الخالق بالمخلوقين ٠

- من اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله فهو كالذى قبله٠

- من أعظم ذلك وأظهره معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ، ومشاقة لله ولرسوله ٠

- ايجاد المحاكم الوضعية التى مراجعها القانون الوضعى ، كالقانون الفرنسى أو البريطانى أو غيرهما من مذاهب الكفار ،وأى كفر فوق هذا الكفر ؟ وأى نقض للشهادة بأن محمداً رسول الله من هذا المناقضة ؟ ٠

- ما يحكم به رؤساء العشائر والقبائل من البوادى ونحوهم من قواعد يتوارثونها ويحكمون بها رغبة عن حكم الله ورسوله ٠

بعد كل ما سبق فى بين أقوال العلماء فى حكم من لم يحكم بما أنزل الله أحب ان أذيل هذا الموضوع بفتوى للشيخ محمود شلتوت قال فيها أما الحكم القطعى المنصوص عليه فى كتاب الله أو سنة رسوله الثابته التى لم يظهر فيها خصوصية الوقت أو الحال فان الحكم بغيره وإن كان مبنياً على اعتقاد أن غيره أفضل منه وأنه لايحقق العدل ولا المصلحة كان ولاشك ردة عن الإسلام أما إذا كان القاضى الذى حكم بغيره مؤمناً بحكم الله وأنه هو العدل والمصلحة دون سواه ولكنه فى بلد غير إسلامى أو

بلد اسلامى مغلوب على أمره فى الحكم والتشريع واضطر إلى أن يحكم بغير حكم الله لمعنى آخر وراء الجحود والإنكار أن الحكم فى تلك الحالة لا يكون كفراً إنما يكون معصية وهو نظير من يتناول الخمر وهو يعتقد حرمتها أما عن الواجب على القاضى المسلم قال رحمه الله :-

يجب على القاضى المسلم أن يرد نفسه عن الحكم متى استطاع الى ذلك سبيلاً واذا لم يستطع أن يرد نفسه خوفاً من ضرر فادح يلحقه أو يلحق جماعته فإن الإسلام يبيح له ذلك ارتكاباً لأخف الضررين مادام قلبه مطمئناً الى حكم الله ٠

قلت وخلاصة أقوال العلماء فى هذا الموضوع الشائك ما ذكره الشيخ محمود شلتوت حيث قال :-

قال العلماء يجب التفرقة بين نوعين من الحكم ،حكم قطعى وحكم اجتهادى فالحكم الاجتهادى مهما بلغ حجم خطأ المجتهد ولوخالف جميع الآراء والمذاهب الإسلامية فانه مادام أساسه تحرى العدل والمصلحة لا إتباع الهوى فهو مأجور باذن الله ،أما الحكم القطعى وهو ماورد به نص قرآنى أو سنة كحرمة المطلقة أو تحريم الربا وشرب الخمر أو قطع يد السارق ،فهذا لا يجوز ان يغير أو يبدل وإن حكم بخلافه مع علمه به وإستهانته وتمرده فهو الكافر قطعاً ويلحق بما سبق المحامى الذى يعمل فى بلد لا تطبق الشريعة الإسلامية فهل يجوز أن يعمل محاميا في دولة تحكم بغير ما أنزل الله ؟ وهل أجره حلال أو حرام ؟ قال العلماء من

يكون وكيلاً عن غيره وهو ما يسمى عرفاً المحامي في قضية ما في دولة تحكم بالقوانين الوضعية على خلاف الشريعة الإسلامية ، فكل قضية يدافع فيها عن الباطل عالماً بذلك مستنداً في دفاعه إلى القوانين الوضعية فهو كافر إن استحل ذلك ، أو كان مستهترا لا يبالي بمعارضة الكتاب والسنة بما وضعه الناس من قوانين ، وما يأخذه من الأجر على هذا فهو سحت ،وكل قضية يدافع فيها عن الباطل عالمًا بذلك معتقداً تحريمه لكن حمله على ذلك طمعه في كسب القضية لينال الأجر عليها فهو آثم ، مرتكب لجريمة من كبائر الذنوب ، وما يأخذه من الأجر على ذلك سحت لا يحل له أما إن دافع عن موكله في قضية معتقدا أنه محق شرعا ، واجتهد في ذلك بما يعرفه من أدلة التشريع الإسلامي ، فهو مثاب على عمله ، معذور في خطئه ، مستحق للأجر على دفاعه وأما من دافع عن حق في الواقع لأخيه ، وهو يعتقده حقا ، فهو مثاب ، مستحق للأجر المتفق عليه مع من وكله [1]

السحر السحر لغة هو كل أمر يخفى سببه ، ويتخيل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع ، وهو كل ما لطف مأخذه ودق ، جمعه أسحار وسحور وفاعله ساحر والمفعول به مسحور، أما تعريفه عند الفقهاء فهو الأقوال والأفعال التى تنافى أصول الدين ،أو تتعارض مع

---

١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٣/٤٩٧) بالكويت

الأخلاق الشرعية ، وهو الكلام المؤلف الذى يعظم به غير الله تعالى ، وتنسب اليه مقادير الكائنات أو هو الأمر الخارق للعادة الذى ينشأعن سبب غيرمعتاد ، والسحر معروف منذ القدم ، وأقدم من ذكر لنا القرآن أنهم عرفوه هم الفراعنة فى قصة موسى وجمع الفرعون لهم ، والسحر هو التخييل للراءى ، وهو كما فعل سحرة فرعون حين أثروا فى أعين الناس عن طريق الإيحاء ، والتأثيرات النفسية ، وإستغلال الشياطين لإيهام الناس فخيل للجميع أن حبالهم وعصيهم حيات ، ولعلمهم أن ذلك تخييل فقط بهتوا لما رأوا تغيير فى حقيقة الأعيان عندما إنقلبت عصا موسى إلى حية حقيقية ، وعلموا أن ذلك مما لا يجوز على البشر ان يتعلموه ، وإلا لكانوا هم العالمون به وهم أمهر من موسى فى هذه المناحى ، وعلموا أن ذلك إنما يكون من رب المواد ، وبارئها لذلك آمنوا به ، ومن صور آثار السحر التفريق بين المرء وزوجه كما حكى القرآن ، وذلك بأن يخيل الساحر عن طريق طلاسم وعزائم لأحدهما قبح صورة الآخر ، أو سريرته ويجعلهما إما يكرهان بعضهما أو يشك أحدهما فى الآخر فيقع الشقاق الذى قد يوصل إلى الفراق ومن صوره أيضا عمل عقد ينفثون فيها ويقرأون طلاسم عليها باسم شخص معين فلا يستقيم لقاؤه مع زوجته ، ويسميه العامة الربط ونتيجته لا يستطيع الرجل أن ياتى زوجته المسماه فى الربط أو يوهم الساحر بطريق الطلاسم وتسخير الجن بالعزائم أحد الأشخاص بأن الناس تريد قتله فيظل موهوماً بذلك

فيصاب بحاله نفسية توصله إلى المرض الفعلى الجسمانى أو يخيل للخاطبين أن فلانة بنت فلان قبيحه الصورة فتظل بدون زواج إلى أن يشاء الله ، وصور هذه الأمور كثيره جداً ، والمهم أن لا يظن ظان أن ذلك بفعل الساحر ، أو أنه باستعانته بشياطين الجن يستطيع بذلك أن يخرج عن قدر الله ، ولكن كل ذلك بقضائه وقدره فقط وهم أسباب نفاذ القدر ، والحق سبحانه يقول{ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ} فسره بعض العلماء بقضاء الله ، ولقد قال بعض العلماء أن للسحر أثراً وبكفر من اعتقد أن السحر حلال ، ولكنهم يختلفون هل هو كفر أو ليس بكفر ؟ ، قال الأئمة خلا الشافعى يقتل الساحر بتعلم السحر وفعله لكفره دون استتابه ، أما الشافعية فقالوا إن كان الفعل أو الكلام الذى سحر به كفراً فالساحر مرتدويجرى عليه حكم الردة إلا أن يتوب ، وإن كان ليس كفراً فلا يقتل لأنه ليس كافراً أما الكاهن والعراف فيرى الإمام ابو حنيفة أنهما يقتلان لقول عمر أقتلوا كل ساحر وكاهن ، وفى رواية إنهما إن تابا لم يقتلا ، ويرى الأحناف أنهما يقتلان ان اعتقدا أن الشياطين يفعلون لهما ما يشاءان ، أما إذا علموا يقيناً أن ذلك تخييل لا حقيقة له فلا يكفر وبالتالى فلا يقتل عن أبى هريرة قال قال رسول الله(١) ﷺ من أتى كاهنًا أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد وعن أبى موسى

---

(١) رواه احمد

أن النبى ﷺ قال ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر(١)،قال الشوكانى قوله لا يدخلون الجنة فيه دليل على معصية صرح الشارع بأن فاعلها لا يدخل الجنة كهؤلاء الثلاثة وقاتل نفسه وقاتل المعاهد وغيرهم لمن ورد نص بأنها مانعة له من دخول الجنة فيكون حديث أبو موسى وماورد فى معناه مخصصاً لعموم الأحاديث القاضية بخروج الموحدين من النار ودخولهم الجنة كما روى حديث صفية بنت أبى عبيد وقال زاد الطبرانى من رواية أنس (ومن أتاه مصدق له لم يقبل الله له صلاة أربعين ليلة) قال الشوكانى ظاهر هذا أن التصديق شرط ثبوت كفر من أتى الكاهن أو العراف جاء فى بيان للناس الصادر عن الأزهر الشريف أن السحر كفر قال تعالى { وَلَـكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ }(٢) فما هو متعلق الكفر فيه هل هو تعلمه أو تعليمه أو العمل به أوهو اعتقاد أنه يؤثر بنفسه دون تدخل إرادة الله ؟ حول هذه الأسئلة الثلاثة ثار الجدل واحتدم النقاش وتعددت الآراء ومن بين هذه الآراء - ان اعتقاد تاثيره بعيداً عن ارادة الله تعالى كفر وذلك محل اتفاق - وان ممارسته من اجل الإضرار بالناس

١) رواه احمد ٢) البقرة١٠٢

حرام حتى مع اعتقاد انه يؤثر باذن الله فالإسلام لاضرر فيه ولا ضرار – وان ممارسته لتحقيق مصلحة مع اعتقاد انه يؤثر باذن الله لا حرمة فيها ، قال القرطبى هل يسئل الساحر حل السحر عن المسحور قال البخارى عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه يجوز كما مال إلى هذا الرأى أيضاً المازرى ولكن كرهه الحسن البصرى وقال الشعبى لاباس بالرقية لعلاج المسحور فان تعلمه او تعليمه يرجع فيه الى المقصود منه فان كان خيراً كمعرفة الفرق بينه وبين المعجزة او استماله للمصلحة فلا حرمة فيه اما ان كان المقصود شراً فهو حرام انتهى ٠

إن السحر كفر والكفر هنا متعلق باعتقاد تأثيره بعيدًا عن إرادة الله قلت وهذا رأيى الشخصى الساحر كافر لأنه لا يجترئ على السحر وتعلمه إلا كافراً يظن بتعلمه السحر أن ذلك سيعطيه القدره على الفكاك من واقع يرفضه إلى واقع يريده هو او من يلجأ اليه اى انه يرغب فى تغيير قدر الله ويظن فى نفسه القدرة على ذلك اذا ما تعلم السحر ومما يقوى هذا الظن عندى قول الحق سبحانه {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ} وقوله تعالى {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ } وفى الجملة فان الساحر كما قال الأئمة خلا الشافعى كافر يقتل بتعلم السحر وفعله فالمعلم والمتعلم فيه سواء فى الكفر ٠

وبالنسبة للمشعوذين هناك بعضهم من غير السحرة والذين يقومون بايهام العوام أن لديهم القدرة على الإتيان بما يرغبون وتسهيل بعض الأمور لهم وليس لهم استعانة بجن ولا غيره ولكنهم يتمتمون بكلمات غير مفهومة ،وألفاظ توحى لسامعها أنها من طلاسم وترانيم السحرة فهؤلاء أغلب الظن أنهم ليسوا بكفار وإن كانوا عصاة ومعصيتهم تأتى من استغلال حاجة الناس وابتزاز أموالهم ٠

<u>إنكار الوحى</u> : ذكر الحق سبحانه فى آيات كثيرة إنكار بعض الناس للقرآن فقالوا هو سحر وقالوا بل شعر كما قالوا بل تأوله أى ادعاه وتقوله وقالوا أساطير الأولين تملى عليه قال تعالى {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } [١] وقال تعالى {قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ }[٢] وقال تعالى{فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ }[٣] وقال تعالى {فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} [٤] وقال تعالى {قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّاوَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ }[٥] وقال تعالى{فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ }[٦]{وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ }[٧] وقال تعالى {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

---

١) القلم١٥ ٢) الملك٩ ٣) الصف٦ ٤) الطور٣٠ -٢٩ ٥) الزخرف٢٤ ٦)يونس٧٦

٧) الزخرف٣٠

وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ }[1] وقال تعالى {فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ }[2] والآيات فى هذا الموضوع كثيرة جداً حكى فيها القرآن عن انكار معاصرى الوحى من الكفار كون القرآن من عند الله ولقد رد الحق فى عدة آيات لعلهم يرتدعوا ويرعووا ويعلموا انه من عند الله خاصة وانه جاءهم بلسانهم فاعجزهم فقال تعالى{ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}[3] وقال تعالى{تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى }[4] وقال تعالى {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً }[5]وقال تعالى {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً }[6] وقال تعالى {وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ } [7] .

هذه بعض الآيات التى ذكر فيها الحق سبحانه كون القرآن منزل من عنده وأنكر فيها كون النبى ﷺ مدعيه كما أنه سبحانه أوضح فى آيات أخرى أنه لو تجرأ محمد ﷺ وقال من عنده شئ وادعى أنه قرآن وليس كذلك لنال عذاباً شديداً حيث قال {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ* فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}[8] كما تحدى الحق سبحانه بأنه لو كان هذا فى استطاعة البشر وأتاه محمد فاتوا انتم يا أهل البلاغة بمثله فقال {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى

---

١) يس٦٩ ٢) المدثر٢٤ ٣) البقرة ٢ ٤)طـه٤ ٥)طـه١١٣ ٦)طـه١١٤ ٧) الأنبيـاء٥٠ ٨) الحاقة ٤٤-٤٧

أن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }[1] كما اغراهم على المحاولة بتخفيف المتحدى به وتقليل المطلوب منهم فقال{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }[2] ثم بالغ فى التعجيز فقال {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }[3] وإمعاناً فى دحض ادعاءهم ومبالغة فى التحدى وإثبات العجز أبلغهم أنهم قبل المحاولة لن يستطيعوا فقال {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ}[4] ولقد مر أربعة عشر قرناً ولم يتمكن أحد من الإتيان بآية من كلام يشبه كلام الحق سبحانه وأنى يوافق كلام الخلق كلام الحق قال أبو بكر الصديق فى مثل ما ادعوه وأشباهه (ويحكم أين كان يذهب بعقولكم ان هذا الكلام لم يخرج عن إل) أى أن ما قاله بعض مدعوا النبوة كلام مفضوح لا يمكن أن يشابه قائله به القرآن ولقد أجمع العلماء على كفر من أنكر كون القرآن كلام الله المنزل على عبده محمد ﷺ بل قال ابن تيميه إن خرجه من فيه مخرج الإستخفاف به والاستهزاء به كفر فما بالك بمنكره بالكلية فهو أشد كفراً ممن قاله مستهزءاً أو مستخفاً وهذا يلحق به منكر التوراة والإنجيل لقوله تعالى

---

١) الإسراء٨٨ ٢)هود١٣ ٣) البقرة٢٣ ٤) البقرة ٢٤

{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ}[1] والصحف المنزلة على إبراهيم وموسى لقوله تعالى {صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى }[2] .

النفاق: النفاق لغة هو إظهار المرء خلاف ما يبطنه يظهر الإيمان ويبطن الكفر يظهر الصداقة ويبطن العداوة والبغضاء ، قال علماء اللغة إنما سمى المنافق منافقاً لاظهار غير ما يضمر تشبيهاً باليربوع له جحر له بابان باب يقال له النافقاء والآخر يقال له القاصعاء يخرج منه وقت الخطر ظاهره رمل وحقيقته باب للجحر .

إن كل عمل فى الظاهر من مؤمن لابد أن يصحبه عمل القلب بخلاف العكس فلا يتصور عمل البدن منفرداً إلا من المنافق الذى يصلى رياءاً وكان عمله باطلاً حابطاً ، ففرق بين المؤمن والمنافق فيظهر الفرق بين المؤمن الذى يقصد عبادة الله بقلبه مع الوسواس وبين المنافق الذى لا يصلى إلا رياء الناس وقد يكون فى بعض الناس إيمان ونفاق مثل أن يصلى لله ويحسنها لأجل الناس فيثاب على ما أخلصه لله دون ما عمله للناس ولا يظلم ربك أحداً [3] والنفاق أشد على أهل الإسلام من الكفر لأن المنافقين يعيشون مع المسلمين يأكلون معهم ويشربون معهم وإذا أحوج الأمر المسلمين إليهم خذلوهم فلاهم بالأصدقاء يعينون المرء على مآربه ولا هم بالأعداء يحجب المرء عنهم مقاصده فهم شر من الكفار فالكافر

---

١) آل عمران ٣ ٢) الأعلى ١٩ ٣) عن الفتاوى لابن تيمية ص ٤٤

معروف العداء أما المنافق فعمله كله فى الخفاء ولكن الله فضحهم وأورد أوصافهم فى سورة البقرة فى الآيات ١٣-٢٠ وصفهم بعدم الإيمان فقال {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ }وأنهم مخادعون فقال { يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}وبظنهم أنهم يحاولون خداع النبى ﷺ إنما يخادعون الله وهم بمخادعة النبى ﷺ ومخادعة المؤمنين إنما يخدعون انفسهم وما يشعرون كما وصفهم بانهم مرضى فقال { فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } أى فى قلوبهم شك ونفاق فوكلهم إلى أنفسهم وجمع عليهم هموم الدنيا ووصفهم بعدم القدرة على التمييز بين ماهو إفساد وما هو إصلاح وهم بذلك يفسدون لانهم يفعلون ما فى صالحهم فقط فقال { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}كما نقل عنهم انهم يصفون المؤمنين بالسفاهة والحقارة والخسة فقال (السفهاء) كما أنهم كانوا مصرين على الكفر رغم وضوح الآيات فقال تعالى { وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}كما وصفهم بانهم عمى لا يرون الحق وصم لايسمعون الهدى وليست لديهم القدرة على الرجوع إلى الحق مرة أخرى لتحيرهم بين الشك والكفر والنفاق كما وصفهم بأنهم يؤمنون ثم يكفرون فطبع على قلوبهم بكفرهم ثم وصفهم فى آيات أخرى من سور مختلفة بأنهم يوالون الكفار يبتغون عندهم العزة حيث

قال{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً * بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً* الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً}[1] وقال تعالى{ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً}[2] والمهم أن الله قد وصفهم بصفات كثيرة كلها تتفق على معنى واحد وخط لم يتغير وهو العمل ضد مصلحة الإسلام والمسلمين وليس هذا فقط بل إنهم يرفضون أن يستغفر لهم الرسول قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوَّوْاْ رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ}[3] كما وصفهم النبى ﷺ فى عدة أحاديث وحدد صفاتهم التى نعرفهم بها عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبىﷺ قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان)[4] كما ورد عن عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ قال أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) [5]قال أبو العالية فى قول الحق سبحانه (الذين

---

١) النساء ١٣٧-١٣٩ ٢) النساء ١٤١ ٣) المنافقون ٥ ٤)متفق عليه ٥) رواه مسلم

ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) هى ست خصال من المنافقين إذا كانت فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا ائتمنوا خانوا ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وأفسدوا فى الأرض وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الخصال الثلاث إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا ائتمنوا خانوا ٠

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق)[1] كما قال ﷺ (آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار)وورد بصيغة حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق [2]وبذلك يمكن جمع صفات المنافقين فى الكذب -الفجور فى الخصومة – عدم الوفاء بالعهد – كراهية المسلمين والأنصار خاصة – الخيانة – قطيعة الأرحام – الإفساد فى الأرض – الشك – الكيد للإسلام – اظهار الإسلام وابطان الكفر – عدم الصدق فى شهادة التوحيد لقول الحق تبارك وتعالى {إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ }[3]أى فى دعواهم أنهم مؤمنون برسالتك لأنهم مكذبون بها ٠

ومن علامات النفاق أيضاً تفضيل حكم أحد غير الله ورسوله على

---

١) رواه البخارى فى باب علامة الإيمان حب الأنصار ٢) رواه احمد ٣) المنافقون١

حكمهما لما ورد من أن رجلين اختصما فقال أحدهما نترافع إلى النبى ﷺ وقال الآخر بل إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القضية فقال للذى لم يرضى برسول الله ﷺ حكماً أكذلك ؟ قال نعم فضربه بالسيف فقتله ذكر السلف قالوا القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أغلف فهو قلب الكافر وقلب منكوس فذلك قلب المنافق وقلب فيه مادتان مادة تمده بالإيمان ومادة تمده بالنفاق فذلك خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط علي غلافة وقلب منكوس وقلب مصفح فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فيه نوره وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه مما سبق يتضح أن خلق المنافقين كلها شر فقد أخذوا بكل سئ من الخلق وردئ لذلك وعدهم الحق بمالم يوعد أحداً كما اوعدهم فقال فى سورة الحديد {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ* يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ

وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ* فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} فجمعهم الله مع الكفار وساواهم بهم فى المثوى الأخير حيث اشتركا معاً فى قوله مأواكم النار وقال تعالى[1] {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً }وقال تعالى {إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً }[2] وقال تعالى {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً }[3] وهذا وعيد شديد لهم فقد أشركهم مرة مع المشركين ومرة مع الكافرين فهذا حكمهم قال ابن كثير فى قوله (ان الله جامع المنافقين والكافرين)قال أى كما أشركوهم فى الكفر كذلك يشارك الله بينهم فى الخلود فى نار جهنم أبداً ويجمع بينهم فى دار العقوبة والنكال وقال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [4] فجمعهم مع الكفار فى ضرورة مجاهدتهم وقال {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا }[5]فهم والكفار أخوة تجمعهم شرور الدنيا ووحدة المصير فى الآخرة وقال تعالى {وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ }[6] فمن اتصف بالصفات التى حددها الحق سبحانه فى الآيات السابقة

---

١) الفتح٦ ٢) النساء١٤٠ ٣) النساء١٤٥ ٤) التوبة٧٣ ٥) الحشر١١ ٦) التوبة٦٨

او اتصف بصفة من التى بينها النبى ﷺ فهو منافق حكم الله سبحانه عليه فى كتابه بالخلود فى الجحيم مع الكفار والمشركين ولا كرامة ولا معقب لكلماته ٠

يرى المحققون من العلماء ان هذا معنى ما جاء عن النبى ﷺ (أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيصير إلى أهل النار وأن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يبقى بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيصير إلى أهل الجنة)[١]فليس القصد من الحديث أن رجلاً صالحاً يرتكب آخر عمره خطأً فيذهب إلى الجحيم أو العكس ،إن موازين العدل الألهى أحكم وأدق مما يظن الجاهلون بل الحديث يصف ضروباً من الناس تخالف ظواهر أحوالهم خفايا نفوسهم يظلون سنين طوال على هذا التناقض ثم ترسو سفنهم آخر الأمر على ما يؤثرون ويحبون ٠

الربا : الربا فى اللغة الزيادة مطلقاً ، ربا الشئ يربو إذا زاد وأطلق على الكسب الحرام والربا الشرعى المحرم هو النسَّاء والتفاضل فى العقود والطعومات ولقد حرم الحق الربا مطلقاً فقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[٢] كما قال رسول الله ﷺ(أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ،ولا يذيقهم من نعيمها

١) متفق عليه مع اختلاف فى الألفاظ ٢) آل عمران ١٣٠

مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا)[1] ولقد أعطى الحق سبحانه فرصة للتوبة منه ، وحدد مقدار ما يستحقه المرابى التائب من مراباته فقال{وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ }[2] وللربا صور كثيرة قال رسول الله ﷺ (الربا سبعون بابًا أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم)[3]وقال ﷺ (٠٠٠من زاد أو ازداد فقد أربى) [4]فمن تاب من الربا فبها ونعم أما من تاب وعاد{وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[5]٠

قال القرطبى فى تفسير الآية يعنى إلى فعل الربا حتى يموت قاله سفيان وقال غيره من عاد فقال إنما البيع مثل الربا فقد كفر ، قال ابن عطيه إن قدرنا الآية فى الكافر فالخلود خلود تأبيد أما إن قدرنا الآية فى مسلم عاص فهو كناية عن طول المكث ٠

قلت الكافر خالد فيها وإن لم يرابى فالحق لم يعول فى تخليد الكافر على كونه عاد إلى الربا كما انه لم يخاطب الناس جميعاً وإنما يخاطب المسلمين فالآية تقدر فى المسلمين وأنا أميل إلى رأى سفيان فى قوله من عاد من المسلمين إلى قوله إنما البيع مثل الربا فهو الكافر وهنا ليس

---

١) رواه الحاكم فى المستدرك - تعليق الذهبي قي التلخيص : إبراهيم بن خثيم بن عراك بن مالك قال النسائي متروك ٢) البقرة٢٧٩ ٣) رواه الحاكم ٤) رواه مسلم وأبوداوود والنسائى والترمذى ٥) البقرة٢٧٥

المقصود بقوله من عاد إلى القول وإنما المقصود أن يبرر عودته إلى العمل بالربا بقوله إنما البيع مثل الربا وما يعنينا هنا هو حكم المرابى فى الإسلام العائد إلى الربا مع علمه بالتحريم ٠

قال سفيان وغيره من العلماء من عاد فقال إنما البيع مثل الربا فقد كفر وهذا يحمل معنى أنه استحله كما يستحل البيع فالربا والبيع فى نظره سواء ٠

وقال ابن خويزمنداد لو أن أهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالاً كانوا مرتدين ، والحكم فيهم كالحكم فى أهل الردة ، وإن لم يكن منهم استحلالاً جاز للإمام محاربتهم ألا ترى أن الله تعالى قد أذن فى ذلك فقال {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ }[1] ٠

من هذا نعلم أنه إن عاد إليه وهو يعلم أنه حرام فقد عصى الله ورسوله وينتظر حرب الله ورسوله له وقارعة تصيبه أما من استحل الربا وقال أنه مثل البيع فهو كافر مرتد مخلد فى الجحيم ٠

معاداة الملائكة: قد يصل الحمق بالبشر أن يعتوا ويتجبروا ويصل بهم الغباء إلى معاداة الملائكة وهذا ماحدث من اليهود فقد جاء فى تفسير قول الحق سبحانه[2] {قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ* مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ

---

١) البقرة٢٧٩ ٢) البقرة ٩٧-٩٨

وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ} قال حضرت عصابة من يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبى فقال رسول الله ﷺ سلوا عما شئتم ، ولكن اجعلوا لى ذمة ما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم عن شئ فعرفتموه لتتابعنى على الإسلام فقالوا ذلك لك فقال سلوا ما شئتم ، وسألوه عدة أسئلة وأجابها جميعاً بما يعرفونه عندهم وعندها قالوا أنت الآن ، ولكنهم سرعان ما عادوا إلى المحاككة ورغبة فى التبرى من وعدهم – وهذا أبدا شأنهم فى كل وعودهم – له بالإسلام أظهروا له عداءهم لبعض الملائكة دون بعض وكأنما يريدون أن يحددوا من ينزل بوحى الله ،قالوا فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك قال (فأنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل هل تعلمون أنه جبريل ؟ وهو الذى يأتينى) قالوا نعم ولكنه عدو لنا ، وهو ملك إنما يأتى بالشدة وسفك الدماء فلولا ذلك اتبعناك)[1] وهم بذلك يريدون أن يكون الوحى ينزل به ملك آخر فهم يتدخلون فى ختصاصات الملائكة وما علاقة إيمانهم إن آمنوا بكون جبريل هو الذى ينزل بالوحى ؟ أيؤمنون بالوحى الذى جاء به أم ينشئون علاقة معه هذا من الحمق فان كان هو ملك الشدة فشدته على أعداء الله وهم يعلمون ذلك وليست على أولياء الله فجهلهم وغباءهم جعلهم يرفضون موالاته التى تستنقذهم من عذاب الله لهم بشدته إن شاء

---

١)رواه البخارى

ولكنه غباء الكفار فى كل عصر ولقد حكم الحق سبحانه بكفر من يفعل ذلك فقال {مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ}فمن عادى الله أو عادى ملكاً أو رسولاً فهو بنص الآية كافر ويلحق بمعاداة الملائكة سبهم أو لعنهم أو إنتقاصهم فى شئ إذ لا وجه لإنتقاصهم مطلقاً وقد قال تعالى {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }(١) وقال {كِرَامٍ بَرَرَةٍ } (٢) فمن سب أولعن أو انتقص ملكاً فقد كفر .

عبادة الملائكة: قال تعالى {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلآئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ }(٣) أى ولا يأمركم أن تعبدوا أحداً غير الله لا نبى مرسل ولا ملك مقرب والأنبياء الذين أرسلهم جميعاً يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }(٤) كما اخبر عن الملائكة فقال تعالى {وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ }(٥) .

هذه الآيات كلها مع ما أوجبه الله تعالى على خلقه من ضرورة عبادته هو وحده لا شريك له يعبد معه ووجوب اجتناب عبادة الطاغوت حذرت من المخالفة فالمخالفة توجب الكفر والكفر يوجب الخلود فى الجحيم حيث قال فى عجز الآية {أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم

---

١) التحريم٦ ٢)عبس١٦ ٣) آل عمران٨٠ ٤) الأنبياء٢٥ ٥) الأنبياء٢٩

مُّسْلِمُونَ }[1]والغريب أنهم يعترفون بوجود الله وان مشيئته تحول بينهم وبين ما عبدوا قال تعالى{وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم } فهم يلقون بتبعة عبادتهم للملائكة على الله وأين كان الله حين عبدتموهم ولذلك قال تعالى {مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ }[2] أى أنهم كاذبون بزعمهم فيما يدعونه من أن تبعة عبادتهم للملائكة تعود على الله وإذا كنتم تعلمون أن الله موجود وأن له مشيئة قادرة على صرفكم عن عبادة غيره لو شاء فلماذا إذن تعبدون غيره أيها الحمقى الأغبياء ؟! وخلاصة القول أن عابد الملك دون الله أو مع الله كافر بنص الآية لأنه هو والملك إنما هما عبدين وجب عليهما معاً عبادة الله وحده وإخلاص العبودية له .

<u>الإستهزاء بالسنن النبوية</u>: لقد قال الحق تبارك وتعالى {مَآآتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}[3] وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ}[4] وقال تعالى { وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً }[5] كما قال رسول الله ﷺ (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى)[6] ومرجع المسلم فى حياته كلها هما الكتاب والسنة فمن أنكر الكتاب أو استهزأ به أو بآياته حكم الجمهور بكفره وردته ولقد أمر الحق سبحانه بعدم الجلوس مع

---

١) آل عمران٨٠ ٢) الزخرف٢٠ ٣) الحشر ٧ ٤) النساء٥٩ ٥) الجـــن٣٢

٦)رواه الترمذى والحاكم والدارقطنى بصيغ مختلفة

المستهزئين بآيات الله وكتابه المكذبين فقال {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً}[1] وحكم الكتاب فى هذا حكم السنن ومن حارب السنن الصحيحة ، فمن أنكر سنة صحيحة مجمع عليها وعلى صحتها فقد استوجب الكفر ومن حارب السنن وأمر بالتخلى عنها كان كافراً مرتداً عن الإسلام وكثيراً مانرى سنن النبى ﷺ يوضع متبعوها موضع السخرية والاستهزاء والإزدراء من قبل المثقفين بثقافات الغرب العلمانى الملحد ويتهمونهم بالرجعية وبأن المتدينين متحجرى الفكر ضيقى الأفق وبأنهم هم والدين هما السبب فى هذا البلاء الذى حل بالأمة الإسلامية وسبب تأخرها عن ركب الحضارة الذى أصبحت معطياته تذهل عقولهم ولا تزيد المؤمنين إلا إيماناً فالمؤمن يصدق قول الحق سبحانه {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}[2] فهو يعلم أن الجديد فى العلم يضيف آيات إعجاز على وجود الله أما هم فيبهرهم العرى والنتن والإنحلال فى الشارع الغربى ويريدون أن يتاح ذلك لهم فى بلادنا ، فيعجزهم الوازع الدينى عند الشارع المسلم عن شهوة أنفسهم الفاسدة فيحاربون هذا الحاجز بينهم وبين ما يريدون ، فتقع حربهم على الدين والمتدينين وكل هدفهم إضلال العباد وجرف الشباب إلى تيارهم فتشيع

---

١) النساء ١٤٠ ٢) فصلت٥٣

الفاحشة ويتحقق لهم ما يريدون قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }[1] ونسوا أن العلم ما أتى ثماره وتطورت وسائله وأدواته وأعطى ما أخذ منه المسلمون الأول إلا عندما تمسك المسلمون بالكتاب والسنة ونسوا أنه ما ظهرت الفرقة فى الإسلام والإختلاف اشتد وظهرت الفرق الإسلامية إلا بعد الإطلاع على فلسفة الغرب الملحد والغريب أن محاربوا السنن هم من جلدتنا هم أبناء آبائنا ولكنهم صاروا صوراً ممسوخة لا هم مسلمون متمسكون بالكتاب وبسنة النبى ﷺ ولاهم ملحدون ، نالوا شهاداتهم الخبيثة بما تعلموا عن الغرب الملحد باعوا دينهم وآخرتهم بدنيا غيرهم وضلوا عن سنن الهدى وكرهوا أن يرونا مقتدين بسنن المصطفى ﷺ فيحاربونها فى كل مكان ولا يألون جهداً فى التضييق على المستنين بها فما أن يلتحى المرء حتى تلصق به تهم الإرهاب والرجعية والرغبة فى تدمير نتائج التنمية وجهود الإعمار والتعمير والعودة إلى الوراء ويسخرون من ذوى اللحى ويشبهها البعض بشعر العانة كما استنبطوا معاييراً غربية وأقيسة لم يسمع عنها أى من أهل الرأى والنظر فى أمور الدين ليضلوا بها الشباب ويكون من الصعب عليه التخلى عنها وجرت أقلام من لا يعرفون قراءة فاتحة الكتاب قراءة صحيحة لتسب الشيوخ وتتهمهم بالجهل وعدم فهم كتاب الله فهماً

---

١) النور١٩

صحيحاً وتصفق الحكومات لهذه الأقلام ولا تتورع أن تطلق عليها لفظ أعلام التنوير ٠

إننا إن ابتعدنا عن كتاب الله وسنة نبيه فقد وجب علينا الضلال وإن حاربناهما فقد وجب على من فعل ذلك منا الكفر فالحق أنه من استهزأ بسنة من السنن فقد أتى منكراً عظيماً يوجب ردته عن الإسلام لأن السخرية بشئ مما دل عليه الكتاب أو سنة النبى ﷺ تعتبر كفراً ورده عن الإسلام لقول الحق سبحانه {لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ }(١) وقال تعالى {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ }(٢) وعليه فمن عاب شيئاً فعله رسول الله ﷺ عرف ذلك فان أصر فقد كفر فمن سخر من سنة من سنن النبى ﷺ فقد كفر ومن حاربها فقد كفر ومن أعان على حربها طائعاً مختاراً وهو يعلم فقد اشترك مع الآمر فى الكفر ووجب قتله وحكم بردته حيث لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ويلحق به من لو قال على شئ لا أفعل ولو كان سنة أو لا أفعل ولو كان فرضاً فمن قال ذلك فقد كفر أيضاً٠

<u>قاتل المؤمن عمداً</u> : قال تعالى{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً } (٣) ٠

---

١) التوبة٦٦ ٢) الرعد٣٢٠ ٣) النساء٩٣

قال ابن عباس هى من أواخر ما نزل من القرآن وما نسخها شئ وقال رسول الله ﷺ (اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منها قتل النفس بعد الشرك بالله والسحر)(١) كما قال ﷺ (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار) (٢) وقال رسول الله ﷺ (لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) (٣) وقال ابن عمر من ورطات الأمور التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام والأحاديث فى هذا الباب كثيرة ولكن خلاف العلماء هنا فى شيئين هما هل للقاتل توبة أم لا ؟ وثانيهما هل إذا مات ولم يتب خلد فى النار أم لا ؟ وممن قال أنه ليس له توبة ابن عباس فى عدة روايات لزيد بن ثابت وأبو هريرة وعبد الله بن عمر قال ابن كثير هذا نقله ابن أبى حاتم وحجة ابن عباس قوله إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام ثم قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ولكن ما عليه الجمهور من السلف والخلف أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله عز وجل فان تاب وأناب وخشع وخضع وعمل عملاً صالحاً بدل الله سيئاته حسنات وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته قال تعالى{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }(٤) وهذا عام فى جميع الذنوب من كفر وشرك وشك ونفاق وقتل وفسق وغير ذلك من

---

١) متفق عليه ٢) رواه الشيخان وورد عند معظم اصحاب السنن بصيغ مختلفه ٣) متفق عليه ٤) الزمر٥٣

تاب أى من ذلك تاب الله عليه كما أنه ثبت فى الصحيحين خبر الإسرائيلى الذى قتل مائة نفس ثم سأل عالماً هل لى من توبة ؟ فقال ومن يحول بينك وبين التوبة (هذا فى حق الإسرائيلى قاتل المائة فما بالنا بالمسلم الذى هو أولى بالرحمة من أهل الأمم السابقة) وعليه فالقاتل له توبة .

أما عن الخلود فى جهنم إن مات ولم يتب فالعلماء يرون عدم خلوده فى الجحيم فقد قال ابن كثير قال أبوهريرة وجماعة من السلف هذا جزاؤه إن جازاه ولكن ابن كثير يرفض ذلك على اعتبار أن معنى ذلك إن هذا جزاؤه إن جوزى عليه ويرى أن أحسن ما يسلك فى باب الوعيد هو أن كل وعيد على ذنب قد يكون متعارضاً من أعمال صالحة تمنع من وصول ذلك الجزاء إليه على قولى أصحاب الموازنة والإحباط وبتقدير دخول القاتل النار فهو ليس بمخلد فيها بل الخلود هو المكث الطويل قال الشوكانى [1] هذا القول وقول إن جازاه من الأقوال الضعيفة الفاسدة لمخالفتها حقيقة لفظ الآية وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن يخرج من النار من كان فى قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان فإذا مات ولم يتب طالبه المقتول بحقه لم قتله وليس معنى ذلك أن يجازى فلا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة إذ قد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول بعضها أو كلها ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة أو يعوض الله المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها ورفع درجته

---

١) نيل الأوطار ص ٤٥-٥٥

فيها ونحو ذلك والله أعلم ٠

وخلصنا من أقوال العلماء إلى أنه له توبة وبالنسبة لمن لم يتب خلصنا إلى انه لا يخلد حسب أقوال العلماء بقى شئ واحد وهو من قتل وهو يستحل القتل قال الشوكانى أما من مات وهو مستحلاً للقتل بغير حق ولا تأويل فهو كافر وقال النووى هو كافر مرتد مخلد فى الجحيم بالإجماع ٠

قال النووى فى شرح صحيح مسلم إن كان غير مستحل للقتل بل معتقداً تحريمه فهو فاسق عاص مرتكب كبيرة جزاؤها جهنم خالداً فيها لكن تفضل الله تعالى وأخبر أنه لا يخلد من مات موحداً فيها فلا يخلد هذا ولكن قد يعفى عنه ولا يدخل النار أصلاً وقد لايعفى عنه بل يعذب كسائر عصاة الموحدين ثم يخرج معهم إلى الجنة ولا يخلد فى النار قال وهذا هو الصواب فى معنى الآية كما أنه ليس فى نص الآية (فجزاؤه جهنم خالداً فيها) إخبار بأنه يخلد فى جهنم وإنما فيها بمعنى هذا هو جزاؤه أى أنه يستحق هذا الجزاء ولكن ليس من المحتم أن يجازيه به هذا فى حق القاتل معتقد التحريم قلت وهذا رأيى الشخصى استقيته من خلال الكتاب والسنة ولا أعتبره فتوى ولا ألزم به أحداً ٠

أقول وبالله التوفيق :

١- قال تعالى {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً }وقال تعالى {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن

يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً* إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً}[1] فلو قال العلماء أن الخلود فى الآية الأولى هو المكث الطويل فهل يقولوا ذلك فى الآية الثانية لو قالوا ذلك لكان من يدعوا مع الله إلهًا آخر خارجاً من النار مع الموحدين فلقد قرن الحق سبحانه القاتل العمد بدون وجه حق مع المشرك .

٢ـقوله فى الآية الثانية ويخلد فيه مهاناً واضح وصريح مثل قوله فى الأولى خالداً فيها ومعلوم أن الأساس فى دخول الجنة هو رحمة الله تعالى لقول النبى ﷺ (لن يدخل الجنة أحدكم بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته)[2] ومعلوم أن اللعن هو الطرد من رحمة الله فكيف يلعن الله القاتل فى الآية الأولى ثم يدخل الجنة .

٣ـ لولا شدة حرمة القتل ما كان زوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن واحد .

٤ـ لولا شدة حرمة القتل ما كان أول شئ يقضى به بين الخلائق يوم القيامة .

٥ـ لو كان القتل هيناً ما عاقب أهل السماوات والأرض جميعهم بأن يكبهم على وجوههم فى النار إذا اشتركوا فى قتل مؤمن واحد .

---

١) الفرقان٦٨ـ٧٠ ٢) رواه الشيخان

٦- فى الحديث الذى رواه البخارى قال من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وان رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاما هذا فى قتل المعاهد الذمى غير الموحد حكم الحق على قاتله بهذا الحكم فما بال القاتل المؤمن متعمداً الذى زوال الدنيا كلها أهون عند الله من قتله إلا إذا كان المعاهد أكرم عند الله من المؤمن ! وهذا محال ٠

٧- عملية القتل نفسها تحتاج إلى قلب قاس (هذا فيما ليس فيه حق) أى بدون وجه حق فلا يقدم على قتل المؤمن عامداً إلا من قسا قلبه وغلظ وخلا من الإيمان فالزانى حين يزنى يرفع عنه الإيمان وهو لا يضر الا نفسه أفمن يقتل مؤمناً عامداً أيكون مؤمناً ؟! فلا يجرؤ على قتل المؤمن عامداً إلا جبار عات أغواه شيطانه ليفعل فعلته فاستحق بها ظاهر نص الآيات ٠

٨- قول ابن عباس ليس له توبة ورفضه أن يقبل الله توبة قاتل المؤمن العمد هذا فى حق من ندم وأراد التوبة فماذا فى حق من لا يندم ومات ولم يتب من دم المؤمن المقتول عمداً ٠

٩- ما رواه البخارى فى كتاب الديات أن المقداد بن عمرو الكندى حليف بنى زهرة وكان شهد بدر مع النبى ﷺ قال يارسول الله إن لقيت كافراً فاقتتلنا فضرب يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ بشجرة وقال أسلمت لله آقتله بعد أن قالها ؟! قال رسول الله ﷺ لا تقتله قال يارسول الله فانه طرح احدى يدى ثم قال ذلك بعد ما قطعها آقتله ؟ قال لا فان قتلته فانه بمنزلتك

قبل أن تقتله وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال فقد جعل النبى ﷺ المسلم الذى شهد بدراً إذا قتل مشركاً أسلم لتوه بمنزلة المشرك قبل إسلامه ومعلوم أن المشرك مخلد فى الجحيم ٠

مماسبق أنا أميل إلى القول بان قاتل المؤمن المتعمد الذى مات ولم يتب مخلد فى الجحيم أقول هذا ولا أعتبر نفسى مفتياً فلست لها بأهل بل أنا أعبر عن رأيى الشخصى من خلال فهمى لما سبق والله اعلم ٠

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم ٠

٢- صحيح البخارى- فتح البارى لشرح صحيح البخارى ٠

٤- صحيح مسلم - شرح صحيح مسلم للنووى ٠

٥- الكبائر للذهبى ٠

٦- الملل والنحل – الشهر ستانى ٠

٧- تفسير ابن كثير- تفسير القرطبى - تفسير المنار -تفسير الثورى - تفسير البغوى - تفسير الطبرى ٠

٨- إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم – ابن تيمية ٠

٩ - ١٠٠ سؤال عن الإسلام – محمد الغزالى ٠

١٠ – بيان للناس – إصدار الزهر الشريف ٠

١١- فرق الشيعة ٠

١٢- رياض الصالحين للنووى ٠

١٣- نيل الأوطار – الشوكانى ٠

١٤- فقه السنة – السيد سابق ٠

١٥- التبصير ٠

١٦- الفقه على المذاهب الأربعة – الجزيرى ٠

١٧- ديانات الهند ٠

١٨- عقيدة المؤمن – أبوبكر الجزائرى ٠

١٩- لسان الميزان٠
٢٠- القاديانية – حسن عيسى عبد الظاهر ٠
٢١ - تهافت الفلاسفة٠
٢٢- قراءة فى وثائق البهائية – د٠ بنت الشاطئ ٠
٢٣- تعريفات٠
٢٤- الفرق بين الفرق – عبد القادر الجرجانى ٠
٢٥- الأسماء والصفات٠
٢٦- الفرق بين الفرق – الغزالى ٠
٢٧- الفرق بن الفرق – البغداد ٠
٢٨- لباب التأويل٠
٢٩- شذرات الذهب- أبى العماد الحنبلى٠
٣٠- اعتقادات فرق المسلمين ٠
٣١- عجائب وغرائب الجن ٠
٣٢- فلسفة الكذب – محمد مهدى علام و الشبلى الحنفى٠
٣٣- الأخيار٠
٣٤- الأسرة تحت رعاية الإسلام٠
٣٥- الرسالة القشيرية – عبد الكريم بن هوازن القشيرى٠
٣٦- عوارف المعارف – السهروردى ٠
٣٧- كيفية الدعوة إلى الله ٠

٣٨- مدارس التربية فى الحضارة الإسلامية٠

٣٩- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد- عبد الرحمن آل شيخ بتعليق ابن باز٠

٤٠- القيامة رأى العين – الصواف ٠

٤١-الطرق الصوفية فى مصر ٠

٤٢- مشاهد القيامة فى القرآن الكريم – سيد قطب ٠

٤٣- فى موكب الدعوة - الشيخ محمد الغزالى٠

٤٤- كنوز من السنة - الشيخ محمد الغزالى ٠

٤٥ - فقه الربا- محمد على بار٠

٤٦- عالمية الإسلام- أحمد على الملا ٠

٤٧- الصوفية فى نظر الإسلام ٠

٤٨- الإبداع فى مضار الابتداع ٠

٤٩-التوبه – أحمد عز البيانونى ٠

٥٠- ظاهرة الغلو فى التكفير – الدكتور يوسف القرضاوى٠

٥١- جريمة الردة وعقوبة المرتد – د يوسف القرضاوى٠

٥٢- السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية – ابن تيمية٠

٥٣- الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية – ابن تيمية ٠

٥٤- الاحكام فى أصول الأحكام – الآمدى٠

٥٥- قانون التوبة – د٠ عبد الله شحاته٠

٥٦-كبائر الذنوب ٠

٥٧- الأحكام السلطانية – الماوردى ٠

٥٨- الحكم بما أنزل الله – عبد العظيم فودة٠

٥٩- ظاهرة التكفير وموقف أهل السنة منها– د٠ عبد الصبور مرزوق٠

٦٠- الولاء والبراء فى الإسلام- محمد سعيد سالم القحطانى٠

٦١- مدارج السالكين – ابن القيم الجوزية ٠

٦٢- كيف يدعو الداعية – عبد الله ناصح علوان ٠

٦٣- الدعوة إلى الإسلام – أحمد المحمود٠

٦٤- كيف نبلغ الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأجنبية– جمعة على الخولى٠

٦٥- فيصل التفرقة – الإمام الغزالى ٠

٦٦- مع الله – الشيخ محمد الغزالى٠

٦٧- موسوعة فتاوى دار الإفتاء المصرية – لجنة الفتوى بالأزهر- فتاوى الشيخ محمود شلتوت- فتاوى الشيخ حسنين مخلوف- فتاوى الشيخ عبد المجيد سليم - فتاوى اللجنة الدائمة بالكويت - فتاوى معاصرة – د٠ يوسف القرضاوى- مجموع فتاوى ابن تيمية - مختصر فتاوى ابن تيمية - الفتاوى الإسلامية ٠

٦٨- الردة بين الأمس واليوم٠

٦٩- الدفاع أحمد بن عتيق ٠

٧٠- التشريع الجنائى ٠
٧١- الصحوة الاسلامية وهموم الوطن العربى- د٠ يوسف القرضاوى ٠
٧٢- الفتوى بين الانضباط والتسيب – د٠ يوسف القرضاوى ٠
٧٣- الحلال والحرام فى الإسلام –د٠ يوسف القرضاوى ٠
٧٥- عقيدة التوحيد – ابن جميع ٠
٧٦- العقيدة الواسطية- ابن تيمية ٠
٧٧- المبسوط – السرخسى ٠
٧٨- كنز العمال – المتقى الهندى ٠
٧٩- مجمع الزوائد – الحافظ الهيثمى ٠
٨٠- نصب الراية – الزيلعى ٠
٨١- مغنى المحتاج – الخطيب الشربينى ٠
٨٢- مسند الإمام الشافعى ٠
٨٣- معجم الطبرانى الكبير ٠
٨٤- سبل السلام شرح بلوغ المرام – الصنعانى ٠
٨٥- موطا الإمام مالك ٠
٨٦- منهاج السنة النبوية – ابن تيمية ٠
٨٧- المغنى- ابن قدامة ٠
٨٨- الحكم وقضية تكفير المسلم ٠
٨٩- الإسلام عقيدة وشريعة – محمود شلتوت ٠

٩٠- حكم تارك الصلاة – احمد عيسى عاشور٠
٩١- حكم تارك الصلاة – محمد بن صالح العثيمين٠
٩٢- الكفر والمكفرات – أحمد عز البيانونى٠
٩٣- قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال – سعيد القحطانى٠
٩٤- الإقتصاد فى الإعتقاد – الغزالى٠
٩٥- المنقذ من الضلال – الغزالى٠
٩٦- تطهير الجنان عن درك الشرك والكفران–أحمد بن حجر آلبوطانى٠
٩٧- إقامة الدليل على بطلان التحليل- ابن تيمية ٠
٩٨- الصارم المسلول على شاتم الرسول – ابن تيمية٠
٩٩- الواسطة بين الحق والخلق- ابن تيمية ٠
١٠٠- الإفصاح – ابن هبيرة٠
١٠١- الإنتصار لحزب الله الموحدين٠
١٠٢- فقه العبادات – الشافعى ٠
١٠٣- الكافى فى فقه ابن حنبل ٠
١٠٤- الأم- الشافعى ٠
١٠٥- الرسالة – الشافعى ٠
١٠٦- الرد على البكري- ابن تيمية٠
١٠٧- الرد على الجهمية – ابن تيمية ٠
١٠٨- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين – ابى الحسن الأشعرى٠

١٠٩- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور – السيوطى٠

١١٠- درء التعارض ٠

١١١- الجواب الصحيح٠

١١٢- سنن ابن ماجه - سنن الترمذى- سنن ابو داؤد٠

١١٣- التحرير والتنوير ٠

١١٤- مرهم العلل المضلة٠

١١٥- حجج القرآن ٠

١١٦- التبصير فى الدين٠

١١٧- روح المعانى ٠

١١٨- إيثار الحق على الخلق٠

١١٩- الصواعق المحرقة ٠

١٢٠- إرشاد الفحول٠

١٢١- الدرارى المضيئة ٠

١٢٢- أصول الشاشى٠

١٢٣- أولياء الرحمن وأولياء الشيطان٠

١٢٤- الصفدية٠

١٢٥- بدائع الفوائد ٠